نزاهة الحاكم

عندِ الإمامِ علي بن أبي طالب عليه السلام في نهجِ البلاغة

الأستاذ المساعد الدكتور
كاظم عبد فريح المولى
جامعة ميسان ـ كلية التربية الأساسية

نزاهة الحاكم عندِ الإمامِ علي بن أبي طالب عليه السلام في نهجِ البلاغة

الأستاذ المساعد الدكتور
كاظم عبد فريح المولى
جامعة ميسان ـ كلية التربية الأساسية

المقدمة:

كانت الأديانُ والشرائعُ السماوية الضامن الحقيقي لأموال الناس ومعايشهم وحقوقهم أمام سلطات الجور والجبروت، فأضحت خصما لدودا لسلاطين الجَور والاستبداد على مرِّ التاريخ،ومثَّل الإسلامُ مصداقا صارخا من مصاديق هذا المفهوم بعد أن كان كثيرٌ من الحكام آلهةً وأنصافَ آلهة، يستبيحون ما يشاؤن من الأعراضِ والأموالِ والأنفس، ولعلَّ مصنفات التاريخ للأمم والشعوب تحكي لنا الكثير ممَّا فعل أولئك من فراعنة وقياصرةٍ وأكاسرةٍ وغيرهم ممَّن لم تصل إلينا أخبارهم، ولم ينَل موضوع أهميةً كتلكَ التي أولاها الإسلامُ لنزاهة الحاكم للحرصِ على أموالِ الناسِ وتحقيق العدالةَ بينهم، وحارَبَ الفسادَ الناجم عن جمعِ الأموالِ وأخذها بغيرِ حَق، وقد حَفلَ التراثُ الإسلاميُّ بكثير من الآياتِ القرآنيةِ والحديثِ النبويِّ الشريف، وما وصلَ إلينا ممّا قالهُ أهلُ البيت، ومِن أبرز مصادقيها ما وردَ في (**نهجِ البلاغة**) من خطبٍ ورسائلَ وأقوالٍ، فالدنيا ليست مَذمومةً لذاتِها ولم يكن يَسعى الإمامُ عليٌّ عليه السلام إلى الحطِّ من قدرِها بَل كان هدفُهُ هو التحذيرُ من الوقوعِ في حرامِها والسعي في زُخرفِها على حسابِ النفسِ والغيرِ من الناسِ أفراداً وجماعات.

مثَّلت تجربةُ الإمام علي عليه السلام في السلطة والحَفاظ على أموال الناس طِرازاً إسلامياً فريدا حتى بلغ الأمرُ أن اكتفى من الدنيا بطِمرَيهِ وقُرصَيه ليكون كما

علَّمه رسولُ الله صلى الله عليه وآله، فالمال والفيءُ ملكُ الناس جميعاً، والسلطةُ في خدمة الناس إنها رعايةٌ لا تسلُّط،رعايةُ الناس وإعراضهم، فما جاع فقير إلاّ بِما مُتِّع فيه غنيٌّ (**إنَّ اللهَ سبحانه فرضَ في أموالِ الأغنياءِ أقواتَ الفقراء فما جاعَ فقيرٌ إلا بِما مُتِّعَ بهِ غنيٌّ والله تعالى سائلهم ذلك**)[1] من هنا قال مقولته الشهيرة في كتاب له لأحد ولاته: ((**أني اقسِم بالله قَسماً صادقا لَئِن بلغني انك خُنت في فَيءِ المسلمين شيئا صغيرا أو كبيراً لأشُدَّنّ عليك شدةً تدعكَ قليلَ الوفرِ ثقيل الظهر،ضئيلَ الأمرِ والسلام**))[2]، هكذا أراد أن يكون بعد أن كان له رسولُ الله والمؤمنين قدوةً حسنةً، ((**فالفقرُ والحرمان مِمّا يفرزهُ سوءُ التوزيع الذي تُمارسهُ الحكومات وغَفلتها عن تحقيق العدالة الاجتماعية، العدالةُ التي ينبغي أن تتناسب وحجم الأعمال والجهود من جانبٍ وتلبيةِ حاجاتِ ومتطلباتِ الإفراد وفقَ البرامج الإسلامية في التوزيع من جانبٍ آخر**))[3].

كان عليٌ عليه السلام حريصاً على أموال المسلمين ويتحرَّى النزاهةَ والعدالةَ فيها لما يترتَّب على الفساد المالي مِن أثارٍ عميقة لا على الصعيد المادي بَل على الصعيد الأيدلوجي والأخلاقي وأحيانا تُدمِّر المجتمعَ تدميراً كاملاً[4]، لاسيما ما يتعلق بالسلطة والمال، إذ أنَّ إغراءً هنا أو هناك يُسبِّبُ انحرافا للكثير ممَّن ضعُفت نفوسُهم وهِمَمَهُم وانساقت أنفسهم ممَّن يرَون أنفسَهم بعيدين عن مركز الخلافة مما يجعلهم بمأمنٍ من المراقبة والمحاسبة،وتمثل حرص الأمام على النزاهة في النَصح والتذكير والمتابعة والتوبيخ والقَصاص كلٌّ بِحسَبِ موضعه وضرورته لكثير من عماله وبطانته حتى وان كان فيهم أخوهُ وابنُ عمه بعد أن كان لهم قدوة حسنة وهو القائل: ((**يا أهلَ الكوفة: أذا خرجتُ مِن عندكم بغيرِ راحلتي ورَحلي وغلامي فانا خائنٌ**)) ، وله عليه السلام من أمثال ذلك الكثير ممَّا وصل إلينا في نهج البلاغة من خطب وكتب ومواعظ.

ويرى عليه السلام: ((**إنَّما يُوتِّر خرابُ الأرض إعوازَ أهلها وإنَّما يعوزُ أهلها**

الأشراف تعسف الولاة على الجميع وسوءِ ظَنهم بالبقاء...))[٥] ، من هنا يوزَّع البحثُ على محورَين يُبرزان في وحدتهما حرصَه عليه السلام على قيم النزاهة في ولاتهِ والمقرَّبين إليه ممَّن كانت لهم صلةٌ بالأموالِ والسلطة، واختصَّ كلَّ مبحث بصنف من الناس استدعَت أفعالُهم قولا أو فعلا منه عليه السلام في توجيه أحداثها للسير بها إلى مصافي تلك القيم،فالأولى تمثلت في موقفه من أخيه (**عقيل ابن أبي طالب**) لَّما طلب لنفسه شيئا من الأموال بعد أن أضنَكَهُ العوزُ فاستجلبهُ إلى بيتِ المال وكواه بحديدةٍ حامية خوفاً من أن يحاسبهُ الله عليه، ومع ابنِ عمِّه وعاملهِ (**عبد الله بن عباس**)، وهم مِن أرحامهِ والصَق الناسِ به.

وفي المحور الثاني ما جَرى مع عُماله وولاتهِ في الأمصار والبلدان، مثل: (**مصقلة بن هبيرة**) وهو عامله على (**اردشير**)،وقد هرب وفي ذمَّتهِ (**خمسمائة**) ألف من الدراهم لبيتِ المال إلى الشام، وما جَرى مع (**الأشعث بن قيس**) وهو عامله على (**أذربيجان**) وبيده مالٌ من بيت مالِ المسلمين فهرب به وأصرَّ الإمامُ على ملاحقتهِ وتذكيره أنَّ الحاكمَ خازنٌ من خُزَّانِ الأموال فقط لا ناهبَ لها، وكذلك ما كان مع (**المنذر بن الجارود العبدي**) وقد خانَ في بعض ما ولاه من أعمالهِ بعد أن غرَّه فيه ما رآه من صلاحهِ وصلاحِ أبيه، وله في ذلكِ موقفٌ حاسم بعد أن رأى فسادَه المالي.

ومع كل أولائك لم تشفع قرابةٌ أو منزلةٌ في المطالبة بأموالِ الناس، وخلَّد الدهرُ أقواله وأفعاله عليه السلام حتى باتت مضربا للنزاهةِ والعفَّة والحرص على أموالِ الناس على مرِّ العصور، وتُذكِّر بما لها من منزلةٍ في الإسلام والتي كانت مثابةً عاليةً من مثابات العَدل والمساواة. وليبقى الإسلامُ الضمانةَ الكبرى لحفظِ أموال الناس ودمائِهم وإعراضَهم.

ومن كلِّ ما تقدم تَظهر لنا الصورةُ الحقيقة الناصعة لصور نزاهة الحاكم

في الإسلام الذي يمثِّل مصداقا من مصاديقِ العدل والنزاهة في الإسلام والشرائعِ التي كمَّلها اللهُ جلَّ عُلاه على يدِ المصطفى محمد صلى الله عليه وآله.

حفلَ نهجث البلاغة - في الخطب والكتب - بالكثير من قيم النزاهة التي حرصَ الإمام علي عليه السلام عليها في تعاملهِ مع عماله في الأمصار حرصاً منه على ما في أيديهم من أموال المسلمين، ولم تأخذه في ذلك لومةَ لائم وان كلَّفه الأمرث خسارة لهم في وقت كان في أمسَّ الحاجة إليهم، وان دلَّ الأمرُ على شيء فانهُ يدل على مقدارِ حرص الإسلام على قيم العدالةِ والمساواة والتي تنطلق من بوتقة قيم النزاهة في أموال الناس ومعايشهم، وسيتضح هذا الأمر ويتجلى في مصاديق وجَّهها عليه السلام إلى من يحيطونَ به ممَّن ولاّهم على أمورِ الناس من أهلهِ وأرحامهِ وسائر الناس بحنكتهِ وحرصهِ على هذه القيم والتي تعدُّ عاملاً مشتركا بين الشرائعِ والأديان التي جاء بها الرسلُ والأنبياءُ حتى وصل الأمرُ إلى شريعة الإسلام ومدرسته التي كان رائدُها رسول الله صلى الله عليه وآله والتي تخرج منها العديد من الرجال وفي طليعتهم عليُ عليه السلام، وستفصح سطور هذا البحث عن صور مشرقةٍ تكشف عن حرصٍ كبير وسعيٍ حثيثٍ للوصول إلى بناء مجتمع يسودُهُ العدلُ والمساواة.

المبحث الأول

تعزيزُ قِيمَ النزاهةِ مَع ذويهِ وَأرحَامِهِ عليه السلام

أولاً: معَ أخيهِ (عقيل بن أبي طالب).

كان عقيل بن أبي طالب يُعاني من ضَنكِ العيش لكثرة عيالهِ وسوء حالهِ بعد أن أصيب بالعَمى فظنَّ أنَّ أخاه خليفةَ المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها إلى شمالها وجنوبها سينعم عليه ممَّا في يديهِ من أموالٍ، فما كان منه الآ أن طرق بابَ بيت ذلك الأخ في مشهدٍ صَورَّهُ عليٌ أروع تصوير

في كلامٍ له استفتحه بقَسَمه بالله أنه يُفضِّل أن ينام على الشوكِ ويُجرُّ بالأغلال مُصفَّداً على أن يلقى الله ورسوله ظالماً لبعضِ العباد وغاصباً لشيء من الحطام فقال: (**والله لان أبيتُ على حَسبُكَ السعدان مُسهَّداً وأُجَرُّ في الأغلالِ مُصفَّدا أحبّ إليَّ مِن أن القي اللهَ ورسولَه يومَ القيامة ظالما لبعضِ العباد وغاصبا لشيءٍ من الحطام، وكيفَ اظلمُ أحدا لنفسٍ يُسرعُ البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها؟ والله لقد رأيتُ عقيلا وقد أملقَ حتى استماحني من بُرِّكم صاعاً ورأيتُ صبيانهُ شُعث الشعورِ غُبر الألوان من فَقرِهم كأنّما سُوِّدَت وجوهُهم بالعظلَمِ وعاوَدَني مُؤكِّداً وكرَّر عليَّ القولَ مُردِّدا: فأصغيت إليه سمعي فظنّ أني أبيعهُ ديني واتّبعَ قيادَهُ مُفارِقاً طريقي فأحمْيتُ لهُ حديدةٍ ثُمّ أدنيتُها مِنْ جسمه ليَعتَبرَ بها فضجّ ضجيجَ ذي دَنَف من أكلها وكاد أن يحترق مِن مَيسميها فقلت له: ثكلتكَ الثواكلُ ياعقيلُ اتئنّ مِن حديدةٍ أحماها إنسانُها لِلَعبه، وتجرني إلى نارٍ سَجّرَها جبّازها لغضبه؟ اتئّن منَ الأذى ولا أئنُّ من لظىَ؟**)[٦].

كيفَ يخون أموالَ المسلمين لنفسٍ سؤولُ إلى البَلى وسيطول حلولها في الثَرى، وهو يرى: (**إنَّ إعطاءَ المالِ في غيرِ حقِّه تبذيرٌ وإسرافٌ وهو يرفعُ صاحبَه في الدنيا ويَضَعَه في الآخرة ويُكرِمَهُ في الناسِ ويُهينَهُ عندَ اللهِ**) ثم يعاود قسمهُ بالله انه رأى عقيلاً بعد أن أصابه الفقرُ الشديد وقد طلب منه صاعاً من القمح وهو برفقه صبيته وهم شُعثٌ غُبر من الفَقر والإملاق، وقد طلبَ ذلك مُكرِّرا مرات عديدة فاستمع أليه عليٌ عليه السلام فظنَّ عقيلُ انه وافق ما طلبه فأحمى له عليه السلام حديدةً ثم قرَّبها من يدهِ فضجَّ صارخاً من ألمٍ لهيبها هنا أجابه عليه السلام: ثكلتكَ الثواكلُ ياعقيل أتئنُّ من حديدةٍ أحماها إنسانها لِلَعبه،وتجرَّني إلى نارٍ سَجّرها جَبَّارُها لغضبهِ وهو سؤالٌ استنكاريٌ يكشفُ عن رفضه القاطع لأن يخون بيتَ مالِ المسلمين ولو بصاعٍ من قمحٍ على الرغم من ألمٍ ما يراه من فَقرِ

أخيه وعياله بعدَ أن فعلَ بهم الفقرُ فعلته، انه عدل في العلاقات الفردية والجماعة في العرض والتطبيق[٧]، إنها العبرة الأخلاقية التي دعته إلى أن ينرك أخاه وعياله يُعانون الجوع والبرد خوفا من أن يُحاسبه الله لأنه أعطاهم مما ليسَ له من أموال المسلمين، إنَّ عدله وحرصَه على تلكَ الأموال هو الذي وصلَ به إلى كلِّ ذلكَ وان كان على حسابِ مشاعرهِ ورغباتهِ طالما أنَّ الأمرَ يتعلقُ بمرضاة الله سبحانه.

من كانَ يتصوَّر حاكما في حوزته الأموال من مقدرات دولةٍ عَرضها في مشارقِ الأرضِ ومغاربها حتى بلَغَت ما يُقارب خمسينَ (٥٠) دولةٍ في مقاييس اليوم ويرفِض أن يعطي اخاهُ صاعا من القَمح فقط لا غير؟[٨].

وتكرّر مثل هذا الأمر معَ (**عبد الله بن زمعة**) وهو من أنصارِ الإمامِ حينَ قَدمَ عليهِ في خلافته يطلب منه شيئاً من المال، فقال عليه السلام: **(إنَّ هذا المال ليسَ لي ولا لكَ، وإنما هو فيءُ المسلمين وجلبُ أسيافِهِم فأن شَرِكتَهم في حَربهِم كان لكَ مثلُ حظّهم وإلاّ فجناةُ أيديهم لا تكونُ لغيرِ أفواههِم)**[٩].

ثانياً: مع ابن عمه (عبد الله بن عباس).

ومِن أمثلةِ حرصِه على قِيمَ النزاهةِ أيضا ما كان معَ ابنِ عمِّه وناصِره (**عبد الله بن عباس**)، لقد وجَّهَ إليهِ كتابا فيه الكثيرُ من الشدَّةِ والصَّرامةِ على الرغم مِمَّا بينهم من عمقِ الصلةِ وطولِ الأُلفةِ وكبيرِ الصحبة لَئلاّ يقع منه مالا يرتَضيه الدينُ، فخاطبه بالقول: **(فلمَّا رأيتَ الزمانَ علىَ ابنِ عمِّكَ قد كَلَب والعدوُّ قد حَرِب وأمانةَ الناسِ قد خَزِيَت وهذه الأمةَ قد فَتَكَت وشَغَرَت، قلبتَ لابنِ عمِّك ظَهرَ المِجَنِّ ففارقته معَ المُفارقين وخذلتَهُ مع الخاذلين وخُنتهُ مع الخائنين، فلا ابنَ عمك آسَيت ولا الأمانةَ أدّيت... واختطفتَ ما قَدِرتَ عليهِ من أموالِهِم المَصونة لأراملهِم وأيتامِهم اختطافَ**

الذئبِ الأزلِّ داميَةَ المَعزىَ فحَملتَه إلى الحِجاز رَحِبَ الصدر بحمله غَير مُتأثّمٍ من أخذه كأنّكَ - لا أبَ لغيرك - صَدَّرتَ إلى أهلك تُراثاً من أبيكَ وأمك فسبحانَ اللهِ أما تُؤمن بالمَعاد؟ أو ما تَخاف نقاش الحساب أيُّها المعدود - كان - عندنا من ذَوي الألبابِ كيفَ تُسيغ شراباً وطَعاما وأنت تعلم أنّك تأكل حَراما وتَشربُ حراماً)[١٠].

في تَصويرٍ أدبيٍّ مُؤثّر يُذَكّر ابنَ عمّه أنَّ الزمانَ والناسَ قد تكَالبوا عليه، فالأمةُ (فتكَت) أي صارت ماضية و(شَغَرت) أي لم يبقَ من يَجمعُها بعد تفُّرقِ أهلها، كيفَ هربت بأموالِ اليتامىَ والأرامل وكأنكَ الذئبُ السريع (الأزلّ) الذي خطَف داميةَ المعزى؟ ثم يسأله مُستَنكِرا ومُذَكِّرا هل ما حَملتَ من مالٍ من بيتِ مال المسلمين هو من مال أمِّك وأبيك؟ ألا تخاف المَعاد؟ أما تُؤمِن بالمَعاد؟ ثم كيفَ تستسيغُ ما تأكُل وتَشرب وهو مِن حرام؟[١١].

المبحَثُ الثاني

تَعزيزُ قِيمَ النّزاهةِ مَع وِلاتِه وعُمالهِ فِي البُلدانِ والأمصارِ

المحورُ الثاني:

إنَّ حرصُهُ عليه السلام على قيّم النزاهة مع عمّاله كانَ يُمثِّل تجربته في السلطةِ والحَفاظ على أموال الناس وهي طِرازٌ إسلاميٌّ فريدٌ حتى بلغَ به الأمرُ أن اكتفى من الدّنيا بطمريْه وقرْصيه فوقف حائلاً دون الانقضاض على أموال الناس من مسلمين وغيرهم، فالإسلامُ دينُ العدل، والعدْل فيه من أصول الدين وهو واجب وشرطٌ فرضهُ الله على الحاكم ليسير بين رعيّته، وتعّزز حرصُه في تتبع أمر الولاة بعد أن رأى من الكثير منهم ما لا يسّرهُ بعد أن ارتفعت عنهم قبضة عمر بن الخطاب العادلة بعد وفاتهِ فاستجابوا إلى إغراءاتِ السلطة[١٢].

لقد حكمَ مساحةً كبيرةً من الأرض، ومع كَثرة ولاتِه وعمالِه على الأمصار وقّلة وسائل الاتصال وصعوبتها لم يدعهم دونَما متابعةٍ بل كان حَريصا اشدَّ ما يكون الحرص ومراقباً أحسنَ ما تكون المراقبة لكلِّ صغيرة وكبيرة منهم فيبادر بالنصح والتذكير تارة وبالتوبيخ والتحذيرِ تارةً أخرى فالعدلُ من صفاتِ الوالي العادل ولا تصلح الرعيةُ الآ بصلاح الولاة **((...فليست تصلح الرعية إلا بصلاحِ الولاة ولا تصلح الولاة الآ باستقامة الرعية، وان الله تعالى فرض على أئمةِ العدل أن يَقدِروا أنفسَهم بضَعفةِ الناس))** إنَّ الشدةَ مع الولاة لها ما يُبررها إذا وصل الأمرُ إلى التجاوز على أموال الناس واقواتهم،وله من الكتب التي وجهها إلى عماله وولاته الكثير مما حَفِلت بهِ التواريخُ والتي وصلت إلينا في كتاب (**نهج البلاغة**) منها:

أولا: ما جرى معَ (مَصقلَةَ بن هُبَيرة).

وهو عاملُه على (**أردشير**) لّما هرب إلى الشام وفي ذمّته (**خمسمائة**) ألف دراهم لبيت المال بعد أن ابتاع سبي (**بني ناجية**)[١٣] من علي أمير المؤمنين عليه السلام واعتقهم فلما طالبَه الأمام بالمال خلَسَ بهِ وهرب إلى الشام فقال عليه السلام: (**قبّح اللهُ مَصلقة فَعَل فِعْلَ السادات، وفّرّ فرار العبيد، فما انطقَ مادحَه حتّى أسكته، ولا صدّق واصفَه حتى يكّته، ولو أقام لأخْذنا ميسورهُ وانتظرنا بماله مَوفورَهُ)**[١٤]، فَعَل فعّل السادات لما افتداهم وفعلَ فعل العبيد لّما خان وهرب، لقد مدحه المادحُ لفعلته لكن سكتَ المادحُ حين رأى تلك الخيانة وبيّنَ عليٌّ عليه السلام أنه لو لم يهرب لأخذنا ميسور ما عنده وتركنا ما عليه ليدفعه (بالأقساط) بما يتلاءم مع دخله، نعم كان حريصاً على ردِّ مال بيت المسلمين مهما كلف الأمرُ[١٥].

ثانياً: ما كانَ معَ (الاشعثِ بنِ قيس).

وهو عاملهُ على (**أذربيجان**) وبيدهِ مالٌ من أموال المسلمين قد هربَ بهِ

وأصرّ الأمامُ على ملاحقته وتذكيره أن (**الحاكم خَزّان الأموال فقط لا ناهبَ لها**) ذكّره أنَّ الولايةَ ليسَ طُعمه ليأكلها بل هي أمانةٌ في العنقِ والوالي خازنٌ وعليه أن يسلّم ما عنده إلى أميره فقال عليه السلام: (**وانّ عملَك ليس لكَ بطعمه ولكنّه في عنقُك وأنت مُسترعَى لِمَن فوقك، ليس لكَ أن تقتات في رعيه ولا تخاطر الا بوثيقةٍ وفي يديك مالُ اللهِ عزّ وجل وأنت مِن خُزّانِه حتى تُسلّمهُ إليّ ولَعَلّي أن لا أكونَ شرّ وُلاتكَ لك والسلام**)[١٦].

كان من حرصه عليه السلام أن ذكّره بهذه الحقيقة المُرَّة التي غابَت عن بالِ كثيرٍ من الحُكام وهي أنَّهم خُزانٌ للأموال لا ناهبينَ لها وعليهم أن يُؤدُّوها إلى مَن هو فوقَهُم كَما أوصَلَها لَهُم مَن هُو تَحتَهُم وان كانَ من (العُمّال) غير ذلك فسيكون عليه السلام من شرِّ الولاة عليه حينَ يُطارده بالفعل والقول ويُذكّره حتى تقوم الحجة عليه ويُرجع أموالَ الناسِ التي انتهَبَها[١٧].

ولهُ مع ابن القيس هذا قصةٌ طريفة حين طرقَ بابَ الإمام ليلاً بملفوفة (**نوعٌ من الحلواء**) هدية منه للإمام يبتغي من ورائها مقصَداً لم يخفَ عن الإمام فقال عليه السلام: (**وأعجَبُ من ذلك طارقٌ طرقنا بملفوفةٍ في وعائها ومَعجونة شئنها كأنّما عُجِنَت بريقِ حَيّةٍ أوقيئها، فقلتُ: أصلة أم زكاة أم صدقة؟ فذلك مُحَرّمٌ علينا أهل البيت فقال: لا ذا ولا ذاك ولكنها هديةٌ، فقلت: هبلتك الهبولُ أعن دينِ اللهِ أتيتني لتخدعَني؟ أمتخبطٌ أم ذو جنّةٍ أم تهجُر؟ والله لو أُعطِيتُ الأقانيم السبعة بما تحتَ أفلاكها على أن أعصي اللهَ في نملةٍ أسلُبُها جلبَ شعيرٍ ما فعلت، وانّ دنياكم عندي لأهوَن من ورقةٍ في فم جرادةٍ تقضُمُها**).

انَّهُ عرضٌ أدبيٌّ أخَّاذٌ يكشفُ عن المعاني بأدقِّ العبارات وأوضحها والتي تُعَبِّرُ عن رفضه عليه السلام لأيِّ نوعٍ من الهدايا التي تُقدَّمُ ليأخذ صاحبهُا ما ليسَ لهُ، إنَّها لغةٌ لا تحتاج إلى كشفٍ وتفسير لما تحمله من عمقِ الدلالات.

ثالثاً: ما حصل مع (المنذر بن الجارود).

وقَد خانَ في بعضِ ما ولاّه من عماله بعد أن غرّهُ فيه ما رآهُ من صلاح أبيه،وله في ذلك موقفُ حاسمٌ بعدَ أن رأى فسادهُ المالي، فأرسل أليه كتاباً جاء فيه: **(أمّا بَعدُ، فانّ صلاحَ أبيكَ غرّني منكَ وظننتُ انّك تتّبع هَدْيه وتسلكَ سبيلهُ، فإذا أنتَ فيما رُقّيَ إليّ عنكَ لاتدعُ لِهَواكَ انقياداً ولا تُبقي لآخرَتكَ عَتادا، تعّمرُ دنياكَ بخرابِ آخرتكَ.. ولَئن كانَ ما بلغَني عنكَ حقاً لَجملُ اهلك وشَسع نعلك خيرُ منكَ، ومَن كان بصفَتكَ فليسَ بأهلٍ أن يُسدُّ به ثغرٌ أو يُنفّذَ به أمرٌ أو يعُلى له قدرٌ أو يُشركَ في أمانةٍ أو يُؤمَن على خيانَة فاقبل إليّ حينَ يصلُ إليك كتابي هذا أن شاءَ اللهُ)**[١٨].

كتبَ إليه يُعنفهُ بشدةٍ ظاهرةٍ حرْصاً منه على ما في ذمّته من أموالِ الناس ويُوبّخهُ مُصرّحاً دونما مُجاملةٍ أو مُواربةٍ لَما عُرفَ به عليه السلام من شدّةٍ وحزمٍ حتّى قال له أن كانَ أمرك هكذا وأنتَ تعمّر دنياك بخرابِ آخرتك أي تهدم الحلالَ بما تأخذه منَ الحرام وكان حالُكَ كهذا فأنّ الجملَ عند اهلك في الدار وشسع (جلدة) نعلك خيرٌ منكَ، ومَن كان بصفتكَ ليس بموضع ثقةٍ لا في مَربط جهاد ولا في أمانةٍ، ثمّ ختمَ كتابه مطالباً بحضورهِ أمامَه حين يصلُ إليهِ هذا الكتاب.

رابعاً: ما جرى مع (عثمان بن حنيف).

وهو عامله على البصرة بعدَ أن بَلغهُ انه دُعي إلى وليمةِ قومٍ أغنياء فأجابَ دعوتَهم،وكان عليه السلام يُدرك خطورة مثل هذا الأمر في الولاية لما يُحدثه من خوفٍ في قلوب الفقراء وطمعٍ عند هؤلاء الأغنياء لا لشيءٍ إلاّ الخوفَ من أن يبتعدَ عن قيمَ النزاهة والتي تبدأُ منَ العدلِ والمساواة كتبَ إليه **(أماً بعد يا ابنَ حُنيف: فقد بلغني أنّ رجلاً من فتيةِ أهلِ البصرةِ دعاكَ إلى مأدُبَةٍ فأسرعتَ إليها تُستطابُ لكَ الألوانُ وتُنقلُ إليكَ الجفانُ وما ظننتُ انكَ تُجيبُ إلى طعامِ قومٍ عائلهم مَجفو وغنيّهم مدْعوٌ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقظَم فما**

اشتبهَ عليكَ علمُهُ فالفظهُ وما أيقنتَ بطيبِ وجوهه فنَل منهُ ألا وانّ لكلّ مأمومٍ إماماً يقتدي به ويستضيءُ بنورِ علمهِ الا وانّ أمامَكم قد اكتفى مِن دنياه بطمريْه ومِن طُعْمه بقرْصه ألا وأنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد وعِفةٍ وسَداد فوالله ما كنزتُ من دنياكم تبراً ولا ادّخرْت من غنائمها وَفراً... فاتق اللهَ يا ابنَ حُنَيف ولتكفكَ أقراصُك ليكونَ من النار خلاصكَ)[١٩].

لَم يكن من ابنَ حُنيف سوى انه أجاب دعوة قومٍ فقط،غيرَ أنَّ الإمامَ عليه السلام يرى في ذلك ما لا يراهُ ابنُ حُنيف، إذ ليس النَّهي منه عليه السلام لمجرد الاستجابة وإنما لأنها وليمةٌ كانَ الغنيُّ فيها مَدعو والفقيرُ مَجفو، فتخوَّف عليه السلام من أن يكونَ هذا الأمرُ مَدخلاً إلى الفسادِ الإداري،لانَّ هؤلاءَ الأغنياءَ لم يدعوه إلا لمطلبةٍ هم يرجونَها وأمرٍ هُم يريدونه هذا ما أدركه علي عليه السلام منذ الوهلة الأولى فأسرع إلى التوبيخِ والتعنيفِ لعاملِه[٢٠].

وأرسلَ إلى عماله الذين يطأُ الجيشُ عملهم بعد أن أوصاهم عليه السلام بما يجبُ عليهم من كَفّ الأذى وصَرف الشذى ليبرأ إلى الله ممّا في ذمّتهم من أموالِ الناس ليكفّوا أيديَ السفهاءِ عن مزارعهم وأقواتهم إلاَّ أذا كانت لدفعِ جوعةِ المُضطر وهو عليه السلام مع كل ذلك يتعهد لهم بدفع المال لِمَن تضرَّر من هذا الجيش من بيتِ مال المسلمين فقال: (**مِن عبد الله عليٍّ أمير المؤمنين إلى مَن مرّ به الجيشُ من جباةِ الخَراج وعُمالِ البلاد أمّا بعدُ،فاني سَيّرتُ جنوداً هي مارّةٌ بكم أن شاء الله وقد أوصيتَهم بما يجبُ لله عليهم من كفِّ الأذى وصَرف الشذى، وأنا ابرأُ إليكم والى ذمتكُم من مَعرّةِ لجيش إلاّ مِن جوعةِ المُضطر لا يجدُ عنها مَذهباً إلى شبعة فنكّلوا مَن تناول منهم شيئاً ظلماً عن ظُلمهم وكفُّوا أيديَ سفهائكم عن مضارّتهم والتعرض لهم فيما استثنياه منهم وأنا بين اظهر الجيش فارفعوا إليّ مظالمَكم وما عراكُم مّما يغلبكم من أمرهِم وما لا**

تُطيقون دفعَهُ إلاّ بالله وبي، فانا أُغَيِّرهُ بمعونةِ الله أن شاء اللهُ)[٢١].

إنَّ في كلامه عليه السلام احترازاً من ظلم الناس ولو بالقليل، إنها نظرةٌ تمثلُ الحرصُ الإسلامي ألأصيل على ما يمتلكه الناسُ ولو بأبسطِ الأمور مِنَ الأموالِ والذِمَم[٢٢].

خامساً: ما كتبهُ إلى بعضِ عماله.

بلغهُ يوماً أنَّ أحدَ عماله في الأمصار أخذَ أرضاً وزرعها فكتب له الإمام: **(أمّا بعد فقد بلغني عنكَ أمرٌ إن كنتَ فعلتهُ فقد أسخطتَ ربكَ وعصيتَ إمامكَ وأخزيتَ أمانتك، بلغني انك جَردّت الأرضَ فأخذت ما تحتَ قدميك، وأكلت ما تحت يديك فأرفع إليَّ حسابَك، واعلم أنَّ حسابَ اللهِ أعظمُ من حسابِ الناس والسلام)**[٢٣].

أوجدَ الإمامُ ما **يُعرف** اليوم تحت (**مِن أينَ لكَ هذا؟**) حينَ أرسلَ إلى عامله: أن ارفع إليَّ حسابكَ، انَّه حسابٌ شديدٌ لِمَن يَشكُّ في أمانته في ولاية أمورِ الناس وهو مِصداقٌ واضحٌ وجليٌّ على حرصِ الإمام على تعزيز قِيّم النزاهةِ بالقولِ والفعلِ.

الخاتمة:

تبَيَّن من هذا الاستعراض السريع لبعضِ ما وردَ في نهجِ البلاغةِ عظيمَ حرصِ الإسلام على قيم النزاهةِ والتي تنطلقُ من قيم الأمانةِ والعدلِ والمساواةِ، ومن خلال ما تقدَّم نستطيع الوقوف على أهمِ ما وردَ فيها، وهي:

١- تحَري قيمَ النزاهة حتَّى معَ اقربِ الناس إلى الإمام وان تطلَّب ذلكَ أن يخسر الكثيرَ من أعوانهِ وأنصارهِ كما جرىَ مع أخيه (عقيل بن أبي طالب) وابنِ عمِّه (عبد الله بن عباس) حينَ فرَّا منهُ إلى (معاوية) بعد أن اشتدَّ بهم الفَقرُ .

٢- متابعة أمورَ عمالهِ ومراقبتِهم في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ حرصاً منهُ على أموالِ المسلمين وحقوقِهم وتذكير أولئكَ العمال بما عليهم منَ الحرصِ والأمانةِ وحثِّهم على الابتعادِ عن مواطن الشبهةِ مهما صَغُر شأنهُا كما حصل مع (الأحنف بن قيس) حينَ أجابَ إلى وليمةِ دُعِيَ إليها وهو والٍ في البصرة.

٣- الإصرارُ على استرجاعِ أموالِ المسلمين التي استأثرَ بها بعضَ العمال والولاة حينَ سوَّلت لهم أنفسهُم نهبَ تلك الأموال كما حصلَ مع (مصقلة بن هبيرة).

٤- عدم القَبول بالرشوةِ مهما صَغُرَت لأنَّها قد تتسبَّب في أعطاء البعض ما ليسَ لهم، كما رفضَ (الحلوى) التي قدَّمها (الاحنف بن قيس) حين طرقَ بيتَ الإمامِ ليلاً.

Abstract

Integrity Govern of Al-mam Ali Abin Aby Talb in the rhetoric process Integrity of Govern represents the aim of prophets and apostles on all the ages to stand against the injustice and un fair which suffered the nation and peoples.

Imam Ali embodies the integrity very well and he was an example of integrity during his judgment period.

He applies his actions before his statements. He was a keen to follow his assistants and alderman to be an extension of the integrity and credibility. As a result of his speeches and massages, he created rhetoric process which developed under his direction and accurate account of himself in small things before great things. This research came to stand on these endeavors and indentify them to unfold the justice fact and integrity which sought by Islam, Thus Imam Ali was the eagerest man on integrity.

هوامش البحث

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ج٣، ص ٣٢٨.
(٢) المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢.
(٣) علي بن أبي طالب سلطة الحق، عزيز السيد جاسم، ص ٩٥.
(٤) المصدر السابق، ص ٣١٩.
(٥) نهج البلاغة، ج٢، ص ٣١٤.
(٦) المصدر السابق، ج٢، ص ٢٤٣- ٢٤٤.
(٧) الأمام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق،ج١، ص ٩٦.
(٨) المصدر السابق، ص ١٠١.
(٩) نهج البلاغة، ج٢، ص ٢٥٣.
(١٠) المصدر السابق، ج٣، ص ٧٣-٧٤.
(١١) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد، ج٧، ص٥٢.
(١٢) علي بن أبي طالب سلطة الحق، ص ٨٦.
(١٣) ينظر شرح نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ج١، ص ٩٠.
(١٤) المصدر السابق، ج١،ص ٩٠-٩١.
(١٥) علي وقانون الطوارئ، محمد طي، ص ٥٦.
(١٦) المصدر السابق، ج٣، ص ٧.
(١٧) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج٢، ص ٧٢.
(١٨) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ج٣،ص ١٤٥.
(١٩) المصدر السابق، ج٣، ص٧٨.
(٢٠) الفكر الإنمائي عند الإمام علي عليه السلام، د، إبراهيم العسل، ص ١٧٥.
(٢١) المصدر السابق، ج٣، ١٢٨.
(٢٢) الصورة الفنية في نهج البلاغة، د. خالد محي الدين البرادعي، ١٦٢.
(٢٣) المصدر السابق، ج٣، ص ٧٢.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب

١- الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، منشورات ذوي القربى، ١٤٢٤م.
٢- علي بن أبي طالب سلطة الحق، عزيز السيد جاسم، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ١٩٩٧م.

٣- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، دار العلم، بيروت ١٩٨٣.

٤- شرح حكم نهج البلاغة، المحقق عباس القمي، دار الأنصار، ٢٠٠٥م.

٥- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٩٥٦م.

٦- المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، محمد دشتي وكاظم محمد، مؤسسة انتشار، ٢٠٠٢م.

البحوث:

١- الصورة الفنية في كلام الإمام علي عليه السلام، د. إبراهيم العسل،مجلة المنهاج، العدد الخامس السنة الثانية، ١٩٩٧، ص ١٥٩ - ١٧٢.

٢- الفكر الإنمائي عند الإمام علي عليه السلام (نهج البلاغة أنموذجا، د. خالد محي الدين البرادعي، محلة المنهاج،ع ٥، السنة الثانية ١٩٩٧م، بيروت.

٣- علي وقانون الطوارئ، د. محمد طي، مجلة المنهاج، ع٨، السنة الثانية، ١٩٩٧م.